حوّال لغلاف التغريبة

جئنا والمشرق في خدر اطمئنان ما زال
يقبل ما يرفضه العقل
بالشكّ ، وينتظر الاعجوبه !
آمننا بحديث الواعد
صدّقنا الاكذوبــه
صفّقنا للمنشد والعازف
وتبعنا القلب الشمعي النازف
فاضعنا سمرة اوجهنا
في غاب الاقنعة المجلوبه !
وجعلتم انتم ، في دغشة مفربكم
من مصباح العقل امام ..
جاهرتم بالرأي ،صوابا او خطأ ،
في مــا آمنتم
كنتم انتــم !

●

غرّبنا .. لكن لم نزحف من نجد
لم نحمل رمحا لهلاليّ
يفرز في عين كاشفة لزناتي
ستر الغيبيّ
بل طرنا بجناح الوجد
ودخلنا في ريح استفناء
لنشاهد وجها ناجيناه
بليالــي الامس الريفية
قمرا افريقيا يطلع
بدرا من حبر « التغريبه »
وقرأنــاه
في سورة مجد الاندلس
وسطور موّشح
يتأود منساب النفس ..
رافقناه
في مدّات تكسّر آه
وتضرّع حنجرة تشكو
وتجرّح
هدهدة راجفــة الكرّات
في بحّة لحن فلامنكو !
يا امّ الزيتون الدهري الراشف
من وهج الصحراء
والصحو البلّوري الذآئب
من مرآة البحر الاخضر
وصفاء عيون نساء البربر
انّا خلفنا في الافق الفائب
خلف غمام الصحو الازرق
فردوســا يسرق
كلّ صباح
ويعاد الينا كل مساء
بوعود الخطبــاء
وتركنا للفازي المجتاح
حبل مشدود
عقدة وهم حول حدود
تتفكك أوصالا .. تتخدر
اذ يبدو خيبــر
وتنــام استسلام
للداخل في الجسد المسبيّ
ونأينا والابصار سؤال
ايــن الوجه المنقذ اين ؟
في اي الوجهيــن
ننجو .. او نفرق
في الوجه المفتوح ام المغلق ؟
امكل الاوجه اقنعة ومدافن آمال
تختلف الاسماء المختارة ، في اللفظ،
وتتفق الافعال !
اتــدوم المحنــه
في وطني المستلب المنكوب
بعقوق الابناء ؟
.. غوصي في مرآة الآتي
عرّيه يا عين زناتي
لنفوس حائرة تسأل
ايكون المستقبل
عقما . .وفراغا كالآن ؟
اتظل اللعنــه
ظلا قدريا يتبعنا
عبر الاجيــال
ونظل لفرقتنا نعجز اذ نصفع
عن ردّ الصفعه
نشرب هتّف سراب الخدعه
ونهلّل ، اهل الخفّة نحــن
للمنشد والعازف
نرقص للحــن ...
نتقن دور شهود الزور ..
نألف للادمان الكذبا
ونكون لقربان الكهّان الحطبا
والكبش المنذور ؟

نعطي العملاق المحتضن الاعداء
نفطــا نشوى في نيرانه
وطرائد في الشرق المنهوب تنفر
ونصير طرائــد
لصقورعلمّها الصيد الوحشي واطلقها
لولائم احبابه !..
نخنق جهر الحرف الثائر
نخمد انفاسه
ونخلّي للقسر الجائر
اصوات الهمس
نتنكر للقلم الزارع
فينا اليقظة . .والاعصار
نمنع في التربة اغراسه
من ان تولد ــ تكسر قشرة ليل التربه
لعناق الشمس
نجهل ان الحلم الواعــد

بعروش نضار
لن يتحقق مهما دار
اهل الجبنه
بموازين العدل القاضم ، ياخضراء
وتوّهم من يرسم في الظل الادوار
لدمى المسرح
ويشد الخيطان
ان يدخل في مجرى التيار
ملاّح عائد
من ابعاد عن آفاقه
فسليل الاصرار
في عكا الصامدة الاسوار
لن يرسو يأسا .. واستسلاما في ميناء
للنسيان يساق اليه
وسيغمض عن ومض منارته عينيه
يسكب في آذان رفاقه
شمعا ينقذهم
من سحر ترنم حوريات
تستدرج مركبه العائد
تغريه
بالهمس العائد
وتناديه
لرقاد ابديّ في كهف الاعماق ..
وسيبقى رغم الريح .. ورغم الليل.
وغدر الاهل المرّ ، يلوب
مندفعا بشراع مثقوب
لنداوة شط يدعو فيه
نجم عطريّ من زهر الليمون
محزون لغياب بنيه ..
يحمل للوطن المشتاق
لغة التمزيق وتفجير الاعراق
والملح المحرف والانواء
وينادي المصلوب المدفون
فيزيح الكفنا
ويقوم يحرّك قبضته
ويدحرج صخرته
قبل الفجر
يفتح للشك المتململ في غيم النظرات
جرح الكف .. وجرح الخصر
ويخلّص من بئر غصت بدماء الاحباب
قمرا شاهد
عين صفاء غابت زمنا
عن اطفال في الساحات
وثريات
كادت تخبو .. تذوي شوقا
لفتى اسمر
ما كادت يمناه تعلّقها
فوق قباب « البيارات »
حتى غاب !

* * *

جئنا يا تونس من ارض
جمعت واختصرت فيها الجنّه
واشتعل « الوزّال » السحريّ الفمز
فيها شمعا وقناديل
وتنفس منها الفجر ضباب
يتوزّع شالات
ومناديل
تكسو في الجبل المخضّر مظلات
لرؤوس صنوبره المهتز
في الغيم مباخر اطياب
ويشكّلها
للعرس اليوميّ
بعقيق الشمس اللألاء
وصفار الماسات !
نادتنا من فجر الحريّه
وسخاء السكب
لبذور عطشى في تربتكم
اصداء لمغن « نبويّ » وقّع
حتى اللفتة.. والايماءة ..غنج الجيد
والهزّة في النهد الفريّد ..
بشّر باليوم المنتظر
وجلاء الليل المتحكم والقيد المنكسر
آمن بالحق المنتصر
في وجه الطغيان
وتجاوب ارباب القدر
لهتاف امان تتدفق
انهارا جارفة .. ان شاء
واراد الشعب !
جئنا من رعشة تاريخ سحري يعبق
باباء قرطاجيّ اطبق
برعم نار
فوق بهاء الجسد الاسمر
لاليسار
غرّبنا يا اخت اليوم وبنت الامس
لنشاهد في الموج المنداح
مرآة شفافه
اشرعة الاجداد الرفّافه
بعبير الارز ...
نقرأ في فجر التكوين
احرف هدي من صيدون
اطلقت القلب
والعقل البشريّ المسجون
في صور ضيّقة الاغلال ..
ونرى شطا منه ابحر
هنيبال
لفتوحات خلف الالب
فرطت غارا كلّل روما
ليس يطال
الا بسيوف وهّاجه
ورماح فارعة تنزو
باكفّ فوارس قرطاجه !
عاد الملاّح الفينيقيّ
بعد ضياع في الآفاق
ارهاصا بزوال حدود قاطعة يثمر
بانانيّتها جسم المارد
ليظل العرق المستنزف
والقزم المستضعف ..
عاد شراع الوهم الشارد
ايمانا
عربيّ
بحلول الاجزاء
في ذات المعبود الاجمل
في الوطن الاكبر ! (*)

بيروت — فؤاد الخشن

(*) القيت في مهرجان الشعر الحادي عشر بتونس